(٣٤) الاستطاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:فقال رحمه الله: (وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ، فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكينِ وَسَلامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] كلمة الاستطاعة مرادفة لكلمة الطاقة، مرادفة لكلمة القدرة، مرادفة لكلمة الوسع، كلها ألفاظ متقاربة. الاستطاعة، والطاقة، والقدرة، والوسع، كل هذه الكلمات كلمات متقاربة.

وقد انقسم الناس في مسألة الاستطاعة، هل الاستطاعة تكون قبل الفعل أم مع الفعل؟

فالقدرية والمعتزلة، بناءً على أصلهم أن العبد يخلق فعل نفسه يقولون: **إن الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل**، أن الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل؛ لأنهم يطردون القول بأن العبد يخلق فعل نفسه دون الله عز وجل، وأن الله عز وجل ليس هو الذي يقدره على الفعل، وليس الله تعالى هو الذي يخلق مفعوله. هكذا تزعم المعتزلة بناءً على هذا الأصل الفاسد أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد.

وقابلهم الجبرية، نقيض المعتزلة فقالوا: إنها لا تكون الاستطاعة إلا مع الفعل، حتى أنهم يأتون بهذا بالمضحكات، يعني يبطلون الأسباب ويعطلونها عن كونها أسباباً. فيقولون مثلاً: الري لا يكون بسبب شرب الماء، ولكن يكون عنده لا به، يكون عنده لا به. يعني أن الله يخلق الري عند الفعل لا به. ولا يجعلون شرب الماء سبباً في زوال العطش. يقولون _ **والكلام عن الجبرية الذين منهم الأشاعرة في هذا الباب** _ يقولون مثلاً حينما تقرب عود الثقاب إلى ورقة فتحترق، يقولون: الإحراق لم يحصل بالنار؛ بل عندها، خلق الله يعني مقارنة اقتراناً صورياً بين الاحتراق وقرب النار من هذه الورقة، وليس وقع بها لكن عندها، بناءً على أصلهم الفاسد أن العبد مسلوب الإرادة والقدرة والاختيار، وأنه مسير لا مخير، وأن كما هو مذهب الجبرية أن حركات العبد كلها اضطرارية كحركات المرتعش.

الجبرية يسلبون العبد إرادته ومشيئته واختياره، ويقولون إن حركات العبد من الطاعات والمعاصي كحفيف الأوراق، وجريان الدم في العروق، ومسير المياه في الأنهار، وكحركات المرتعش من الحمى أو الخوف، أو غير ذلك، **وليس له إرادة، ولا فعل حقيقي، ولا قدرة حقيقية.**

وعلى النقيض منهم القدرية. فإن القدرية قالوا: بل العبد يخلق فعل نفسه، ولا شأن لله عز وجل بأفعال العباد، العبد هو الذي يخلق فعل نفسه. لأجل ذلك حصل الخلاف في مسألة الاستطاعة. هل الاستطاعة تكون مع الفعل أو قبل الفعل، **فذهبت القدرية النفاة إلى أن الاستطاعة لا تكون إلا قبل الفعل، وذهبت الجبرية الغلاة إلى أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل.**

أما أهل السنة والجماعة، فإنهم فصلوا القول في ذلك كما سمعتم في كلام المؤلف، حيث فرق بين نوعين من الاستطاعة.

الاستطاعة التي بمعنى التوفيق، والإعانة على الفعل، والتي يجب بها الفعل حقيقة، هذه تكون مع الفعل، تكون مع الفعل. فمثلاً إذا أمر الله تعالى العبد بالصلاة، فقام يصلي فهذه الاستطاعة التي أوتيها مع الفعل، هذه الاستطاعة التي يحصل بها التوفيق للفعل، هذه تكون مع الفعل.

النوع الثاني من الاستطاعة؛ وهي الاستطاعة التي يتعلق بها خطاب التكليف. ألسنا نقول مثلاً من شروط الصيام أن يكون مسلماً، بالغاً، عاقلاً، قادراً، مقيماً، خالياً من الموانع يعني بالنسبة للنساء من الحيض والنفاس، هذه الشرائط، هذه شرائط وجوب. فهذا النوع من الاستطاعة هو الذي يكون قبل الفعل، هو الذي يكون قبل الفعل؛ لأنه متعلق بالوسع والآلات التي يُتمكن بها من الفعل.

نرجع إلى كلام المصنف قال: (وَالاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ) يعني يحصل بها الفعل ويتحقق ويوجد فعلاً في الخارج من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به، فهي مع الفعل.

إذن ما هي الاستطاعة التي تكون مقارنة للفعل؟ هي استطاعة التوفيق التي يوفق الله بها من شاء من عباده، فيكون مصلياً، أو صائماً، أو حاجاً، أو معتمراً، أو آمراً بمعروف ناهياً عن المنكر، **مميطاً** للأذى عن الطريق. هذه الاستطاعة التي تحصل مع الفعل، هذه من التوفيق والإعانة التي يعين الله بها من شاء من عباده.

أما الاستطاعة التي من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات، فهذه قبل الفعل؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يأمر من ليس مستطيعاً، فقال الله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [الفتح: ١٧] لماذا؟ لأن الآلات والوسع والطاقة غير متحققة عندهم. فإذن هذا النوع هو الذي يتعلق به الخطاب، يعني خطاب التكليف، وبها يتعلق الخطاب كما قال تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦] وهذه من المسائل الكلامية كما أسلفت، وتبين بها أن الحق هو التفصيل .

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللَّهِ)** عندكم هكذا خلق الله؟ أو خلق لله؟ طيب **(وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)** **مسألة أفعال العباد،** هذه هي المسألة التي عليها قطب رحى الخلاف بين الناس؛ لأن ما سوى أفعال

العباد يعني، ما سوى أفعال العباد يعني ما يجريه الله تعالى في كونه من الإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات الأرض، وإدرار الزرع، والصحة، والمرض، هذه لا خلاف بين أهل الإسلام من أنها بتقدير الله سبحانه وتعالى؛ **وإنما وقع الخلاف بين أهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام في مسألة أفعال العباد، يعني من الطاعات والمعاصي التي يترتب عليها الثواب والعقاب هل هي خلق لله أم لا؟**

وقد قررنا كثيراً هذه المسألة، وقلنا أن الناس انقسموا فيها إلى طرفين ووسط. أفعال العباد انقسم الناس فيها إلى طرفين ووسط. أحد الطرفين هم الجبرية القائلون بالجبر، الجبرية القائلون بالجبر. هؤلاء غلوا في إثبات أفعال الله إلى درجة أنهم سلبوا العبد فعله وإرادته وقدرته ومشيئته. **قالوا: لا فاعل إلا الله، العبد مسير**. العبد كالريشة في مهب الريح يقلبها الريح كيف شاء. العبد كالقشة على ظهر الماء، تطفو وترسب، تعلو وتهبط، حركاته كحركات المرتعش، هؤلاء هم الجبرية. وأوائل الجبرية من؟

الجهمية أول من قال بالجبر في هذه الأمة الجهم بن صفوان السمرقندي، الذي له مقالة في التجهم المشهورة في الصفات. وورثها عن الجهمية، ورثها الأشاعرة.

فالأشاعرة في باب القدر جبرية، تابعون للجهم ابن صفوان، هذا صنف. فهذا الصنف إذن أو هذا الطرف غلوا في إثبات أفعال الله حتى سلبوا العبد فعله وإرادته ومشيئته، وجعلوا العبد لا إرادة له ولا فعل ولا مشيئة.

على النقيض منهم تماماً القدرية. والقدرية كما قد قدمنا فيما مضى، ظهروا في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وأنكر عليهم الصحابة أيما نكير.

هؤلاء القدرية قالوا: أفعال العباد لا شأن لها بالقدر. فمنهم غلاة، منهم غلاة وهم أوائلهم الذين ظهروا في عهد الصحابة، **وأول من قال من هؤلاء الغلاة بالقدر رجل يقال له معبد الجهني،** ظهر بالبصرة وصار له أتباع، فأنكروا أن يكون الله عز وجل عالماً بما الخلق عاملون، وقالوا: إنما أمر ونهى ثم هو لا يعلم من سيطيعه ومن سيعصيه، ولم يكتب عليهم ذلك، ولم يخلقه منهم ، ولم يشأه لهم.

فكانت مقالة شنيعة تتضمن من وصف الله عز وجل بالجهل والعجز والنقائص ما لم يتردد أهل السنة في تكفير قائليها.

فغلاة القدرية، كفّرهم أهل الإسلام ولا ريب. لكن نظراً لشناعة هذه المقالة، جرى لها نوع من التخفيف على أيدي المعتزلة، **فقد ورثت المعتزلة مقالة القدرية** وقالوا: لا بأس، نسلم بالعلم والكتابة ونقول نعم إن الله علم ما الخلق عاملون من الطاعات والمعاصي، وكتب ذلك أيضاً. لكنه لم يشأ ذلك منهم، ولم يخلقه هو. فالعبد هو الذي شاء طاعته أو معصيته دون الله عز وجل، والعبد هو الذي خلق طاعته ومعصيته دون الله عز وجل. يعني

أقروا بالعلم والكتابة وأنكروا المشيئة والخلق. هؤلاء هم المقتصدون منهم. فهؤلاء القدرية على النقيض غلوا في إثبات أفعال العباد حتى أنكروا القدر، وأولئك غلوا في إثبات أفعال الله حتى سلبوا العبد مشيئته.

بين هاذين الطرفين أهل السنة. فإن أهل السنة أثبتوا للعبد مشيئة وفعل وإرادة وقدرة حقيقية، حقيقية لكنها تابعة وخاضعة لإرادة الله ومشيئته وفعله وإرادته. **يجمع هذا الخلاف آية اعتصم بها أهل السنة وهي قول الله عز وجل: { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } [التكوير: ٢٨] هذه الجملة تدل على إثبات أفعال العباد ومشيئاتهم {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير: ٢٩] إذن هي مشيئة خاضعة لمشيئة أعلى منها؛ وهي مشيئة الله.** إذن العبد له مشيئة قال الله عز وجل: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة: ٢٢٣] إذن ثمّ مشيئة للعبد.

طيب، للعبد مشيئة وله اختيار وله إرادة، وله قدرة ولكنها تابعة لمشيئة الله وقدرته وإرادته وفعله سبحانه وتعالى. هذا هو مذهب أهل الحق وعليه قامت النصوص. ما الذي جرى؟ ا لجبرية الذين غلوا في إثبات أفعال الله نظروا إلى نصوص الدالة على طلاقة مشيئة الله عز وجل، وأغمضوا عن النصوص الدالة على فعل العبد.

فمثلاً مما احتجت به الجبرية على دعواهم إن العبد مسير، وليس له من أمره شيء قالوا: إن الله تعالى يقول لنبيه {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧] فإذن العبد لا يعدو أن يكون صورة وآلة{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧] احتجوا بمثل هذه الآية، واحتجاجهم بمثل هذا الآية مردود؛ بل إن هذه الآية دليل عليهم لا لهم، وهكذا من القواعد الجميلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أي مبطل احتج بدليل من كتاب أو سنة على باطله، فإن في ذلك الدليل المعين ما يدل على نقيض قصده.

يعني يمكن أن تقلب الدليل الذي استدل به المبطل عليه. لكن بعض العلماء يهتدي لذلك وبعضهم لا يهتدي لقلب الأدلة على الطوائف المضلة.

فهذه الآية التي استدل بها الجبرية على سلب القدرة والإدارة والاختبار عن العبد، هي دليل عليهم. تأملوا معي قال الله عز وجل: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} ألم يضف الله الرمي ويسنده إلى نبيه؟ بلى، إذن هو أثبته رامياً قال: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ } إذن قد رمى فأسند الرمي إليه{وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} .

إذن الرمي قد أثبته الله لنبيه ابتداءً وانتهاءً؛ لأنه قال: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} فأثبت الله الرمي لنبيه ابتداء من الحذف إلى الوصول قال: { وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} إذا ما الذي من الله؟ التوفيق والإصابة والتسديد. أما الفعل فقد وقع فعلاً وأُسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا لو كان الأمر كذلك لجاز أن يقال: وما صليت إذ صليت

ولكن الله صلى، وما صمت إذ صمت ولكن الله صام، وما حججت إذ حججت ولكن الله حج. وهذا لا يقول، هذا ظاهر الفساد والبطلان.

أيضاً مما احتج به الجبرية على باطلهم، ونقصد ضرب أمثلة وإلا المقام يطول. قالوا: هذه الأعمال التي يعملها الناس هي مجرد صور، وإلا فالمسألة محسومة ولا أثر لفعل العبد، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لن يدخل أحد الجنة بعمله**)) فهذه الأعمال مجرد صور لا أقل وليس العبد عمله هو الذي يدخله الجنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لن يدخل الجنة أحد بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**)) احتجوا بهذا.

والجواب عن احتجاجهم هذا أن المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لن يدخل الجنة أحد بعمله**)) أن الباء هاهنا هي باء المعاوضة والمقابلة والمكافأة، يعني أن ذات العمل ليس مقابلاً للجنة. لو أن الإنسان أفنى عمره من حين ولادته إلى حين مماته، منهمكاً في الأعمال الصالحة، فإنها لا تقابل نعيم الله عز وجل بالجنة. لكن الله عز وجل يعطيه الجنة من رحمته وفضله، من رحمته وفضله.

على النقيض احتج القدرية النفاة بجملة من الأدلة. فمثلاً هم تعلمون أنهم يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه. احتجوا على باطلهم هذا بقول الله عز وجل: { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: ١٤] قالوا: أرأيتم؟ أثبت الله خالقين سواه قال: { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} إذن يمكن أن يخلق أحد غير الله. **والجواب عنهم أن يقال أن الخلق في اللغة تارة يكون بمعنى الإنشاء من العدم، وتارة يكون بمعنى التقدير بمعنى التقدير.**

فالتقدير لا يعني الإنشاء من العدم والإيجاد من العدم؛ وإنما يكون بتقدير الشيء ويعني تصويره ونحو ذلك. فهذا هو الذي تضمنه قول الله تعالى: { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} لا الإنشاء من العدم، فإن الإنشاء من العدم لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، ألم يقل الله عز وجل للمصورين: (أحيوا ما خلقتم) هل هؤلاء المصورين أوجدوا مادة هذه التماثيل المنحوتة وأخرجوها من العدم إلى الوجود، أم أن غاية ما صنعوه أن أتوا إلى هذه الأشياء الموجودة وصوروها وقدروها على شكل معين، فسموا خالقين من هذا الباب. قال: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي)، الخلق هنا بمعنى ماذا؟ **التقدير والتشكيل لا بمعنى الإنشاء من العدم.** إذن لا حجة لهم بذلك.

كذلك احتجت القدرية النفاة بقول الله عز وجل: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف: ٧٢] شوفوا على النقيض من الجبرية، دائماً الجبرية والقدرية يعني أدلتهم متقابلة. وقول الله عز وجل: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٧] قالوا هذا الله سبحانه وتعالى جعل الجنة التي أورثوها مقابلة للعمل، ولو كان مقدراً من الله عز وجل ما ساغت المقابلة.

أولئك استدلوا بـ: ((**لن يدخل أحد الجنة بعمله**)) على إسقاط أعمال العباد وإراداتهم وأنه لا تأثير لعملهم. وهؤلاء استدلوا بقوله: {أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} جزاءً بما كانوا يعملون على أن هذا العمل مستقل عن قدرة الله عز وجل.

وكلا الفريقين ضل سواء السبيل؛ لأن قول الله تعالى: **{ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، هذه الباء هي باء السببية، يعني بسبب أعمالكم.**

إذن تبين أن عندنا باءان: باء قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لن يدخل أحد الجنة بعمله**)) هذه باء المقابلة وباء في قوله تعالى: {أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} هذه باء السببية. فبالتالي لا تعارض بين هاتين البائين. فالباء هناك غير الباء هنا، فبهذا يزول الإشكال فيكون معنى قوله: ((**لن يدخل الجنة أحد بعمله**)) أي أن العمل ليس مقابلاً مكافئاً للجنة. {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي بسبب أعمالكم. فالعمل كان سبباً لدخولكم الجنة.

فبهذا يتبين ضلال الفريقين، وأن كلاً من الفريقين نظر إلى طائفة من النصوص وأغمض عن طائفة أخرى. أما أهل السنة والجماعة فإنهم نظروا إلى كلا الطائفتين من النصوص.

والرد عليهم أيها الإخوة سهل على كلا الطائفتين كما سمعتم. فالذين أنكروا القدر وهم القدرية، نرد عليهم بحمد الله بالنصوص التي استدل بها الجبرية. والذين بالغوا في إثبات القدر وسلبوا العبد مشيئته، نرد عليهم بالنصوص التي استدل بها القدرية. فإن أدلة هؤلاء ضد هؤلاء، وأدلة هؤلاء ضد هؤلاء.

ثم إننا نقول لهؤلاء القدرية الذين يقول قائلهم إن العبد يخلق فعل نفسه دون الله. نقول: ألستم ترون في الواقع والحس والمشاهدة أن الإنسان يهم بالعمل ويتخذ له الأسباب ثم يحال بينه وبينه؟ لا ريب، فهذا يدل على أن أفعال العباد محكومة، ومشيئاتهم محكومة بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

يرتب الإنسان العمل ويتخذ له كافة الأسباب ويقول خلاص كل شيء جاهز، ثم يقيض الله حائلاً يحول بينه وبين مراده.

كذلك هؤلاء الجبرية الذين يزعمون أن العبد مسير مطلقاً، وأنه لا مشيئة له ولا إرادة. نقول: أيضاً هذا خبط، لماذا؟ لأن كل واحد منا يفرق بين حركاته الاضطرارية وحركاته الاختيارية. هل من المعقول أن يقول عاقل أن الإنسان كالريشة في مهب الريح؟

أنت تدرك الفرق بين أعمالك الاختيارية والاضطرارية. تدرك مثلاً كيف تنزل من السطح إلى الأرض باختيارك، تنزل درجة درجة، أو عن طريق المصعد بحركة اختيارية، وبين أن تتدحرج مع الدرج حتى تصل إلى القاع.

هذه الحركة اضطرارية شتان بين هذا وهذا، وإن كان كل منهما في النهاية أوصلك إلى الأرض. لكن فرق بين الحركة الاضطرارية والاختيارية. فعجباً لهؤلاء القوم. أما مذهب أهل السنة بحمد الله، فهو مذهب الموافق في الحق.

ثم قال الشيخ رحمه الله: (وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلاَّ مَا يُطِيقُونَ، وَلا يُطِيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ". نَقُولُ: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلا حَرَكَةَ لأَحَدٍ، وَلا تَحَوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلاَّ بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلا قُوَّةَ لأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلاَّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ).

أما الجملة الأولى فمسلّمة؛ وهي قول الشيخ رحمه الله: (**وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلاَّ مَا يُطِيقُونَ**) هذا حق، الله عز وجل لم يكلف العباد إلا ما يطيقون. ما الدليل على هذا؟ قال الله عز وجل: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦] {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [الأنعام: ١٥٢] {لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٣٣] ، فلا ريب أن الله تعالى لا يكلف العباد إلا ما يطيقون، وهذا من رحمته بعباده أنه لم يكلفهم إلا ما يطيقون؛ **وإنما البحث في المسألة الثانية وهي قوله: (وَلا يُطِيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ) هذه في الحقيقة مما استُدرك على الطحاوي رحمه الله.**

فإن قوله: (**وَلا يُطِيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ**) فيها استدراك ذلك أن الناس قد يطيقون أكثر مما كلفهم. لكن الله سبحانه وتعالى ترك ذلك تخفيفاً وتيسيراً من باب رفع الحرج والتخفيف على الأمة؛ فلهذا كانت هذه العبارة مما يُستدرك؛ لأن قوله: (**وَلا يُطِيقُونَ إِلاَّ**) أنتم عندكم (ولا يطيقون إلا ما كلفهم) ولا (ولا يطيقون إلا ما أقدرهم)؟ فيه حد عنده نسخة أخرى؟ في بعض النسخ: (ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه).

فالمقصود أن هذه الجملة: (**وَلا يُطِيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ**) أنها مما استدركت على الطحاوي رحمه الله، وذلك أن الناس قد يطيقون أكثر مما كلّفهم، أرأيتم لو أن الله سبحانه وتعالى فرض علينا بدل خمس صلوات ست صلوات أكنا نطيق؟ نطيق، لو أن الله عز وجل جعل مثلاً الصيام يعني الصيام شهرين في السنة أكنا نطيق؟ نطيق. لكن الله تعالى من باب التخفيف والتيسير على عباده، خفف عنا. فلا يقال أنهم لا يطقيون إلا ما كلفهم؛ بل يطيقون أكثر من ذلك. لكن الله عز وجل من رحمته بعباده خفف عنهم.

قال: (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ) هذه كنز من كنوز الجنة كما في الصحيح من حديث أبي موسى الأشعري. ما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟ أي لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله. هذا معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله.

فهذه الكلمة كلمة عظيمة، يحصل بها من تغير الأحوال، وانفراج الأزمات، وحصول الفرج ما لا يخطر ببال. ولهذا لما أُسر بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه أن يكثر من "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فكان ذلك سبباً في فرجه.

ثم قال: ((**وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا** _ سبحانه وبحمده _ **تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ،{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]** هكذا ينبغي أيها الإخوة أن يقر في قلب كل مؤمن أن كل شيء بمشيئة الله تعالى، وكل شيء قد سبق به علمه وقضاؤه وقدره، وأن مشيئته هي النافذة وقدرته هي الشاملة، وأن الله تعالى في كل ما قضاه وقدّره غير ظالم لعباده بحال.

قال الله عز وجل: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦] {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا } [النساء: ٤٠] فالله تعالى لم يظلم أحداً.

(**تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ**) فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص والعيوب، ((الخير بين يديك والشر ليس إليك)) وهذا هو معنى الحمدلة والسبحلة. حينما تقول: الحمد لله، وسبحان الله ماذا يعني ذلك؟ حينما تقول: الحمد لله، فأنت تصف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال والجلال والجمال. وحينما تقول: سبحان الله، فأنت تنزه الله تعالى عن صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين،**{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}** وبهذا تم الكلام على مسألة القدر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.